المورد

مجلة تراثية فصلية محكمة

اوراق من ديوان ابي بكر محمد بن داود الاصفهاني

نظرات في الدراسة والتحقيق

بقلم
هاشم الطعان
اتحاد الادباء العراقيين ـ بغداد

صدر من مطبوعات وزارة الاعلام (سلسلة التراث) ، هذا الكتاب للدكتور نوري حمودي القيسي المعروف في اوساط تحقيق الشعر . واللذي قدم دواوين الشعراء ابي زبيد الطائي وخفاف بن ندبة وربيعة بن مقروم الضبي والمرقشين الاكبر والاصغر ومالك بن الريب والنمر بن تولب . ثم ها هو يطلع علينا بهذه (الاوراق) من ديوان ابي بكر محمد بن داود الاصفهاني الظاهري المعروف عند الادباء بكتابه الشهير (الزهرة) المطبوع قسم منه بتحقيق المستشرق الدكتور لويس نيكل البوهيمي بمساعدة الشاعر الفلسطيني ابراهيم طوقان سنة ١٩٣٢ .

ويعمل الدكتور نوري القيسي هو والدكتور السامرائي في تحقيق القسم الباقي من (الزهرة) ، ولعل عمله في هذا الكتاب هو الذي دفعه الى الاهتمام بشعر محمد بن داود هذا البعيد الزمن عن العصر الذي عنى القيسي بشعرائه في اعماله السابقة والمتراوح بين الجاهلية وصدر الاسلام .

واظن عاملا آخر شجعه هو كثرة الشعر الوارد في الزهرة لهذا الشاعر فهو لم يجد له في المصادر الاخرى اكثر من سبعة وعشرين بيتا ، ستة منها موجودة في الزهرة .

ولقد حرص الدكتور نوري القيسي ما استطاع على تحري المصادر التي سماها (المراجع) ، ولي على هذه المسألة ، مسألة المصادر ملاحظتان ،

اولاهما : انه اورد في هامش ص ٧٨ هذه العبارة (وقال صاحب اللباب ...)

ولم اجد في مصادره اللباب ولا صاحبه .

وثانيتهما : انه في استقصائه للمصادر ذكر معجم الادباء (ارشاد الاريب) لياقوت ولو انه عرج على موسوعة ياقوت الاخرى (معجم البلدان) لوجد فوائد يأتي ذكرها .

وفي ترتيب القصائد عرف الدكتور القيسي بولعه الشديد بتكثير الابواب في الدواوين التي جمعها سابقا فهو يضع بابا لشعر الشاعر وبابا لما ينسب له ولغيره من الشعراء واذا ورد شيء كثير من شعر الشاعر في احد الكتب افرد لما ورد في هذا الكتاب بابا ، وهو يفرد بابا لانصاف الابيات وهلم جرا .

ولئن كان ثمة ما يبرر تقسيماته تلك على ارباكها للمراجع لهو قد فقد مبرراته وابقى الارباك في تقسيمه شعر محمد بن داود الى الابواب التالية .

١ ـ القصائد التي وردت في النصف الاول من كتاب الزهرة وهي منسوبة لبعض اهل العصر (مع ملاحظة ان المقصود ببعض اهل العصر محمد بن داود نفسه) .

٢ ـ ما ذكر له في النصف الثاني من كتاب الزهرة .

٣ ـ المقطعات التي ذكرت في المراجع الاخرى ولم تذكر في كتاب الزهرة .

واذا تجاوزنا ذلك وجدناه يرتب القصائد والمقطعات حسب قوافيها في الباب الاول ثم يعمل هذا الترتيب في البابين الثاني والثالث .

وهو في الباب الاول يضع الابيات المرقمة ٩١ في حرف الكاف واولها :

بدأت بموعد ورجعت عنه
وكنت اعد وعدك من عطائك
ولم تزل الخواطر عنك تنبي
بانك لا تدوم على وفائك

وهي على روي الهمزة كما ترى

ولعل هذه الطريقة المربكة هي التي جعلته ينسى وضع بيتين من شعر الشاعر في مكانهما من الديوان مع انه اوردهما في المقدمة التي درس بها الشاعر ص ٨ وهما :ـ

كيف يفتيكم قتيل صريع
بسهام الفراق والاشتياق
وقتيل التلاق احسن حالا
عند داود من قتيل الفراق

والمقدمة مسهبة تطمح الى دراسة الشاعر والشعر ولكنها لم تفد من مصدر مهم اسلفت ذكره وهو معجم البلدان ولو فعل كاتبها لاضاف الى الترجمة التي كتبها للشاعر اسم جد الشاعر (علي) واسم احد تلاميذه (الحسن بن حيدرة بن عمر الزندوردي) كل هذا في الجزء الثاني ص ٩٥٢ من الطبعة الاوربية .

وفي هذه المقدمة ينقل الدكتور القيسي ص ٨ عن تاريخ بغداد ٢٥٩/٥ ووفيات الاعيان (طبعة محيي الدين عبدالحميد) ١٩٠/٣ ـ فيما زعم ـ هذا النص (قال ـ أي ابن سريج لما سمع بنباه وفاة محمد بن داود ـ بعد ان نحى مخاده ومشاوره وجلس للتعزية : ما آسى الا على تراب اكل لسان محمد بن داود) والخبر لا ذكر له في وفيات الاعيان وقد راجعت طبعة الدكتور احسان عباس وهي ادق طبعة واوفاها فلم اجده . ويحسن الوقوف عند كلمة (مشاور) التي نقلها الدكتور القيسي صامتا وتركها للقاريء يحار بها . اقول : لم اجد لهذه الكلمة معنى يوافق النص الذي وردت فيه ، ولعل لها علاقة بـ (الشوار مثلثة التي تعني متاع البيت) .

وفي المقدمة ص٢٠ ايضا ينقل ابياتا غير معزوة عن النصف

الاول من كتاب الزهرة ص ٩٨ وعلق في هامشه قائلا (وفي روايتها في الكتاب اختلاف آثرت اثباتها على الوجه الذي تجمع عليه الروايات) وما ادري اي الروايات يعني ؟ وأين نجدها ؟ ولكنني ادري ان الابيات لجميل بثينة وهي في ديوانه (جمع وتحقيق الدكتور حسين نصار) ص١٦٨ وادري ان البيت الثاني الذي اورده هكذا :

بلى وبأن لا استطيع وبالمنى
وبالامل المرجو قد خاب آمله

هو في الزهرة :

بلى وبأن لا استطيع وبالمنى
وبالوعد حتى يسأم الوعد آمله

وهو في الديوان وفي تعليق محققي الزهرة ص ٣٨٨ .

بلا ، وبأن لا استطيع وبالمنى
وبالامل المرجو قد خاب آمله

والذي آبه له هنا هو رسم الالف في كلمة (بلا) فرسمها طويلة هو الصواب ورسمها بصورة الباء خطأ لانها هنا كلمتان (الباء) حرف الجر و (لا) النافية يؤكد ذلك البيت السابق :

واني لارضي من بثينة بالذي
لو ابصره الواشي لقرت بلابله

ف (بلا) يدل من (بالذي) . ويدل على ذلك ايضا عطف المجرور بالباء عليها (وبان لا استطيع وبالمنى ...)

وما دمنا في المقدمة فانا اريد ان اقف مع الاخ القيسي في تجوزه وتسمحه في استعمال الفاظ في غير موضعها ، فان محمد بن داود كان يعشق غلاما ، وهذه مسألة ـ وان حاول ان يدافع عنها الدكتور القيسي ـ لا تشرف ابن داود . اما نمت هذا الاتجاه في الحب الذي افرزه مجتمع الاقطاع العباسي مع اوضاره (بالفلسفة) فاني كنت اوثر لصديقي القيسي العافية منه فقد قال في ص١٣ عن مقطوعات ابن داود (كأنها تمثل الجانب الشعري لفلسفته التي يبسطها في الكتاب) اما عن (العفة) في (عشق ابن داود لمحمد بن جامع الصيدلاني) التي روى بسببها الحديث (من عشق وكتم وعف وصبر غفر الله له وادخله الجنة) فهي عفة من قوارير ولا اظن حمل العفة الواردة في الحديث عليها ممكنا .

* * *

ومهما يكن فاني سأتناول النص لارى ما هو الجهد المبذول لتحريره . واريد اولا ان اهمس في اذن الدكتور رجائي ان لا يفعل كما يفعل الذين يريدون ان يعوقوا عمل النقاد فيتعمدون التضليل . لقد وجدت عناء كبيرا في ايجاد قصائد (الاوراق) في كتاب الزهرة المطبوع فهو لم يذكر ارقام الصفحات .

ثم هلم الى الشعر وسابدأ بـ :

المقطوعة رقم (٢) : كان بودي ان يشير الى الاقواء في البيت الرابع فان القوافي كلها مضمومة وهو منصوب القافية (ليس هذا الاخاء ذاك الاخاء)الا اذا اعتبرنا خبر ليس مقدما وهذا ما يرفضه النحاة الا ابن درستويه . ويضعفه تساوي المبتدأ والخبر تعريفا . ومهما يكن فقد كان احرى به ان يتوقف عند هـذا .

المقطوعة رقم (٣) : البيت الاول .

يقول ابعد اليأس تبكي صبابة فقلت وهل قبل الاياس بكاء

(الاياس) !! .. ماذا يقول فيها الاستاذ ؟ . الا تستحق التوقف ؟

المقطوعة رقم (٦) البيت ٦

حسبت طعم الكرى عيني فاهتجرا
فصار طيب الكرى من بعض اعدائي

(اهتجرا) لا معنى لها هنا . ولو كان الحديث عن (الجفنين) لكان (الهجر) مجازا يدل على افتراقهما ، اما العينان ف (اهتجدا) لهما هو الصواب ولا استطيع ان احمل ذلك على خطأ الطبع لانها في الزهرة ايضا (اهتجرا) ولم يكلف نفسه عناء تقويمها لانه ظنها صحيحة .

المقطوعة رقم (٧) البيت ٢ .

فكيف ينعش من ارواه ناعشه
ومن يرى جسمه راي الاطباء

(يرى) لا معنى لها هنا والصواب (برى) بالباء الموحدة من (البري) وهذا التصحيف ايضا منقول بحذافيره عن الزهرة.

المقطوعة رقم (٨) البيت ٤ .

ولو كنت تجزي بالذي نستحقه
غضبت ولكني من الهجر اهرب

(نستحقه) من خطأ الطبع لاشك فهي في الزهرة (تستحقه) صحيحة و (غضبت) بفتح التاء من خطأ الزهرة المطبوعة والصواب (غضبت بضم التاء واظنه من عدم قراءة الاوراق التي فيها شعر بن داود والتي (قصها !!) كما هي من كتاب الزهرة ولصقها على اوراق دفتر وسلمها كما هي الى الطبع (كسبا للوقت) وقد (فضح) هذا الاسلوب سقوط اربعة ابيات من هذه المقطوعة كانت في ظهر الورقة (المقصوصة) فاخفاها (اللصق) وخسر شعر ابن داود اربعة ابيات اخرى وها انا اردها للرجل منقولة من ص١٣٤ من كتاب الزهرة ، ومكانها بعد آخر بيت منقول من ص١٣٣ :

وما غرضي في ان اثبت حجة
عليك ومالي غير عفوك مطلب
اليك مفرّي منك لا عن وسيلة
اليك سوى اني بحبك متعب
فان تأت ما أهوى فعبد نعشته
وان تكن الاخرى فعبدك مذنب
فرأيك فيمن انت مالك رقه
فقد حلت البلوى وطاب التجنب

اوردتها على علاتها ولي فيها راي ، فانا اقترح ان تقرأ :

اليك مفرّي منك (ما من) وسيلة .....

فرأيك ... (بفتح الياء وهي في الاصل مضمومة)

المقطوعة رقم (٩) البيت ٣ .

فقد والذي لو شاء لم يخلق النوى
عرضت فما أدري الى اين اذهب

كنا نطمع في شرح (عرضت) هذه !!

المقطوعة رقم (١٠) البيتان ٢ و ٣

لو كنت شاهدنا والدار جامعة
والشمل ملتئم والود مقترب
لا بل مساواة ودي وده بهوى
كأنه نسب بل دونه النسب

(لا بل مساواة ودي وده بهوى) لم استطع ان اضع يدي

على معنى واضح له واوردت ما قبله في محاولة لربط المعنى دون جدوى .

المقطوعة رقم (١٤) البيت ٣ .

علي بواد من يخاف اغتيابه
تبت لديها في الانام مناقبه

منقول (بأمانة) عن الزهرة . و (تبت) هنا ليس لها وجه . والصواب (ثبت) بالثاء المثلثة . ويبقى الصدر غير واضح .

وفي المقطوعة ايطاء اذ تكررت (عواقبه) قافية للبيتين الثاني والرابع

المقطوعة رقم (١٢) البيت ١

من كان يشجى بحب ماله سبب
فان عندي لما اشجى به سبب

حكم (سبب) النصب فهو اسم ان ، ونصبه بوقع المقطوعة في الاقواء . وقد صمت المحقق عن ذلك .

المقطوعة رقم (١٨) البيت ١

قسمك عليك الدهر ...

(قسمك ، من خطأ الطبع والصواب (قسمت) والبيت ٤

شككت فما ادري لفرط مودتي
يبربك ام ظني يرينيك مذنبا

وما ادري كيف (تجمّع !!) هذا البيت ؟ فهو في الزهرة ص ٨٢ .

شككت فلا ادري لفرط مودتي
يبربك أمرضني يرينيك مذنبا

وهو خطأ من أكثر من وجه . وقد اورد المحققان ص٣٨٧ هذه القراءة الاخرى :

... افرط مودتي يربيك ام ضني ...

وهي وجه لا بأس به

وفي امالي الزجاجي (طبعة عبدالسلام هارون) ص١٠٢ :

شككت فما ادري افرط مودتي
يربيك ، أم ظني يرينيك مذنبا

وهو وجه حسن لم يفد منه الدكتور القيسي .

المقطوعة رقم (٢٢) البيتان ٢ و ٣ .

فيهما ايطاء فالقافية في كليهما (الجنوب) التي تعني الريح ولم يشر المحقق الى ذلك .

المقطوعة رقم (٢٧) البيت ٣ .

فجبّلي زرود فالطليحة فاللوى
فان لها عندي يدا وهنات

(جبلي) لا يستقيم بها الوزن الا باسكان الباء وقد فعل ذلك محققا الزهرة وحذا الدكتور القيسي حذوهما (دون تردد) فهو وان لم يضع السكون على الباء فقد اصر على وضع نقطة تحت الجيم ، ولم يجشم نفسه عناء مراجعة المعجمات التي تجمع على فتح باء جبل ولم أجد احدها يقر صواب التسكين .

وقد نفع هنا (معجم البلدان) ايضا ج٢ ص٩٢٨ فقد عرف (زرود) بأنها (رمال بين الثعلبية والخزيمية) .

وعدت الى اللسان في محاولة لتقويم التصحيف فوجدت في مادة (حبل) بالحاء المهملة (الحبل المستطيل من الرمل وقيل الضخم منه وجمعه حبال . وقيل الحبال في الرمل كالجبال في غير الرمل) وهكذا قطعت جهيزة قول كل خطيب ، فصواب البيت اذن :

فحبلي زرود فالطليحة فاللوى ...

وفي (معجم البلدان) في المادة نفسها تصحفت هذه الكلمة بعد ذلك على محقق الكتاب ايضا . وهو معذور لعجمته ولانها وردت نثرا فلم يختل بها نص والبيت ٥ .

لقصر على وادي زبالة مشرف
اكفكف في اكنافه عبراتي

حرك المحقق راء (قصر) وفاء (مشرف) بالكسر وذلك من (افضال اللحق) فقد قفى على اثر محققي الزهرة في توهمهما ان اللام حرف جر وظنا البيت متعلقا بقوله قبل ذلك :

..... تقطع نفسي عندها حسرات

وانما هي لام الابتداء بدلالة البيت الذي بعد البيت المقصود :

احب الي نفسي .....

فيكون الصحيح :

لقصر على وادي زبالة مشرف
اكفكف في اكنافه عبراتي

احب الى نفسي ..... بضم (قصر) و (مشرف) و (احب) والبيت ٦ نفسه .

احب الى نفسي واشقى لشجوها ....

وصوابه (اشفى) بالفاء .

المقطوعة رقم (٢٨) الابيات ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥

موجودة في معجم البلدان ج ٢ ص ٩١٣ معزوة لبعض الاعراب ، ولو رجع المحقق الى المعجم ليعرف بالمواضع لصادفها في مادة زبالة .

وها انا اثبت البيتين ٣ و ٤ برواية معجم البلدان لاختلافهما عن رواية الزهرة :

وهل لي الى تلك المنازل عودة
على مثل تلك الحال قبل مماتي
فاشرب من ماء الزلال وارتوي
وآوى مع الغزلان في الفلوات

المقطوعة رقم (٣٥) البيتان ١ و٣

وردا في معجم البلدان ايضا ٤/٢٥٥ واوردهما لاختلافهما مع رواية الزهرة :

يهيم بذكر الكرخ قلبي صبابة
وما هو الا حب من حل بالكرخ
ولست ابالي بالردى بعد فقدهم
وهل يجزع المذبوح [من] الم السلخ

وقد سقطت [من] من طبعة المعجم .

المقطوعة رقم (٣٧) البيت ٢

تبادر دمعي فانصرفت تهضني
الى عبرتي بقيا عليك اذودها

(تهضني) لاوجه لها هنا ولا مبرر الا (النقل الامين) عن خطأ الزهرة فالهض : الكسر والدق . وليس لهما هنا مكان والصواب (تنهضني) البيت ٤ .

فما اشبهت عيناي الا سحابة
دنا صربها واستعجلتها رعودها

(صربها) تحريف حدث (بفضيلة اللصق) ايضا والصواب (صوبها) ص ٤٤ : وكتب بعض اهل الادب الى اخ له من اهل هذا العصر البيت ؟

لا تلقى الدعاء مني بتكسر
فترى قاتلا لنفسي عمدا

(لا تلقى) ملصقه !! هكذا من الزهرة .. وحقها (لا تلق) بحذف حرف العلة لان الفعل مضارع مجزوم بلا الناهية .

المقطوعة رقم (٥٢) البيت ٣

فحسب نفسي عنا علميبموضعها
من الهوى حسب ان كنت معذورا

عجزه لا يستقيم وهو في الزهرة :

..... من الهوى وحسب ان كنت معذورا

وهو لا يستقيم ايضا وما ادري ما الذي اعاق الدكتور القيسي عن الاخذ برواية امالي الزجاجي ص ١١٤ وقد اطلع عليها وهي مستقيمة :

..... من الهوى وبأني كنت معذورا

البيت ٦ :

اضافة من امالي الزجاجي وعلق عليه في الهامش بقوله : (ويبدو ان السادس فيه خلل في المعنى) والبيت كما ورد في طبعتي الامالي (الشنقيطي ص ٧٣) و (عبدالسلام هارون ص ١١٤) :

ميلا اليها له من دون مألكة
فلست انساه موصولا ومهجورا

وما اظن البيت مغلقا الى هذا الحد يفسره البيت الذي قبله:

وانت خال وقلبي ذا الذي ملكت
هواه نفسك اكراما وتخييرا

فيكون المعنى (ميلا الى نفسك للقلب من دون مألكة ...)

المقطوعة رقم (٥٥) البيت :

لقد باعدت عنك اخا شقيقا
عليك فلا يفرك حسن صبري

(شقيقا)بقافين من خطأ الزهرة استعاره الدكتور القيسي وابقى عليه والصواب (شفيقا) بفاء وقاف .

المقطوعة (٥٦)

منسوبة لـ (بعض اهل هذا الزمان) ولعله يعني (اهل هذا العصر) ايضا غير ان الدقة والامانة تقتضيان الاشارة الى ذلك .

المقطوعة رقم (٥٧) البيت :

خليلي اغراني من الشوق والهوى
تخالط ماء الشاربين مع الخمر

اشار في الهامش الى ان الشطر الثاني في الاصل فيه اضطراب وحين عدت الى الاصل وجدته :

..... واخلط من ماء الشاربين بالخمر

واشهد ان راي الدكتور حق وان الشطر فيه اضطراب ولكنني وددت لو انه اثبت الشطر المضطرب في الهامش ليؤدي امانة التحقيق ووددت لو انه اشار الى اضطراب شطر البيت الثالث الذي قومه فهو في الاصل :

يظل حسود القوم فينا مفكرا
بخيل منالمعشوق منا فلايدري

فجعله .....
يخيل من المعشوق منا فلا يدري

المقطوعة رقم (٦٣)

اشار في الهامش الى انها وردت في الزهرة بلا نسبة والحق ان جميع ما نقله من الزهرة ورد بلا نسبة فلماذا خص هذه المقطوعة بهذه الاشارة . كان عليه ان يكون اكثر وضوحا فيقول : ان سائر المقطوعات وردت مصدرة بـ ابعض اهل هذا العصر) وهذه صدرت بـ (ضد الذي يقول) .

وما دمنا في روي الراء فقد فاته في هذا الباب مقطوعة جاءت في ص ٣٤٧ من الزهرة فقد وردت قطعة قبلها لـ (بعض اهل هذا العصر) ثم جاءت مصدرة بـ (وله ايضا) وهي :

حاولت امرا فلم يجر القضاء به
ولا ارى احدا يعدى على القدر
فقد صبرت لامر الله محتسبا
واليأس من اشبه الاشياء بالظفر
فالحمد لله شكرا لا شريك له
ما اولع الدهر والايام بالغير

المقطوعة رقم (٨٣)

لا اعرف ما الذي دفع الدكتور الى اثباتهما لمحمد بن داود وفي الزهرة صدرا بـ (كما فعل الذي يقول) . اظن ذلك كان وهما .

المقطوعة رقم (١٠٣)

معزوة الى (الاخر) وكان مبرر نسبتها الى الاصفهاني وان كانت نسبتها الى الاخر . ولكنها جاءت تأييدا لكلام ذكره في الكتاب) .

وهي حجة لا تثبت شيئا لان كل شعر الزهرة جاء تأييدا لكلام سماه الدكتور القيسي (فلسفة) فهل ننسب كل هذا الشعر الى الاصفهاني ؟

ص ٧١

من القسم الثاني من كتاب الزهرة (المخطوط) جرى تصحيف في قراءته لهذا البيت عن (السوسنة) :

اولها سوء وباقي اسمها تخبر ان السوء يبقى سنه

الصواب (يخبر)

وفي هذا البيت

هدية عيد قد علا فوق قدره
فاهدى لمن يهواه عن غير امره

الصواب (هدية عبد) بالباء الموحدة .

ص ٧٩

واني لادري ان في الصبر راحة
ولكن انفاقي علي من الصبر

نقله هكذا من الوافي وهو قد اورده صحيحا ص ٥٢ من الزهرة فما ادري لماذا اعاده مضطربا .

واني ادري ان في الصبر راحة
ولكن انفاقي على الصبر من عمري

* * *

هذه ملاحظات ليست قليلة عن كتاب صفحاته ٨٦ صفحة وقد ضربت صفحا عن الاخطاء التي يمكن حملها على الطبع ، وانا ارجو ان يتسع لها صدر الدكتور القيسي لعلها تفيد قارئا للكتاب او طبعة ثانية له .